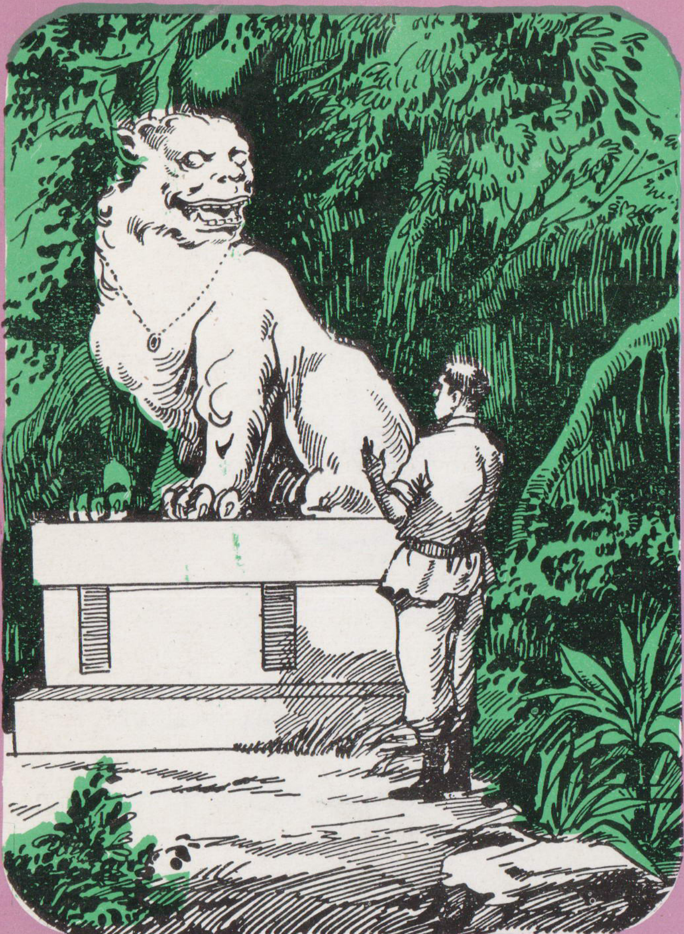
حكايات الليالى

٥



الفقير الطامح

وقصص أخرى

دار المعارف

حكايات الليالى

(٥)

الفقير الطامح
العجوز والشيطان
النجّار والعفريت

بقلم

أمين أحمد العطار

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع.

« حكايات الليالى » حكايات قصها الوالد على أبنائه الصغار حين كانوا يجلسون معه كل ليلة، ملتفين حوله ، ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة .

وكان الوالد يجيبهم إلى طلبهم ، ويحكى لهم حكاية من حكايات الليالى . . .

وفى ليلة من الليالى قص عليهم حكاية «الفقير الطامح » :

الفقير الطامح

يحكى أَنَّ مَلِكاً كان له بِنتٌ فَاقتْ بنات زَمنها فى الحُسْنِ والجمَال ، كمَا امتازَت بالعَقْلِ الذّكىِّ الكامِل ، والخُلُقِ الرضِىِّ الفَاضِل ، والنَّفس الطيِّبةِ المُطْمئِنة ، تُحِبّ للنّاسِ ما تُحِبّ لنَفْسِها ، وتكْرَه لَهُم ما تكْرَهُهُ لَها ، ولِهذَا أَحبَّها الناسُ ،وكانَ لَها حَدِيثٌ عَطِرٌ فى مجالِسِهم ، ورَغِب فى زَواجِها الأُمراءُ

وأَبْناءُ الملوكِ، والنُّبَلاءُ من الأَعْيان ، وتقَدَّمَ لِخطْبَتها من أَبِيهَا كثِيرٌ مِنْهُم ، وكانَ أَبُوهَا يُشاوِرهَا فيمَنْ طَلبَ يَدَها مِنْهُم ، لتَخْتَارَ الذِى تَرْتَضِيه لها زَوْجاً .

بلغَ التّنافُس بَيْنَ طَالِبيها أَشُدَّه ، فَكُلٌّ مِنْهُم يُرِيدُهَا لنَفْسِه ، ويَضَع العقَبَاتِ فى سَبِيلِ غَيره ؛ ليَحُولَ بَيْنَها وبَيْنَه ، وكانَ هَمُّها أَنْ تُحْسِنَ اخْتِيارَ الزّوْج الّذِى يُعَاشِرُهَا بالمَعْروفِ ، ويكُونُ خيرَ أَبٍ لأَوْلادِه

اختارتْ من بَينهِم أَمِيرًا جَمِيلا ، عُرِفَ بالصَّلاحِ والمُروءَةِ والخُلُق الكريم ، فحسَدَهُ عَليْها أَحدُ الأَعْيان ، وأَصَر علىَ أَلاّ يَقع زواجٌ بيْنَهُما أَبدًا ، وكان هذَا الرجُلُ الحاسِدُ قَد تَعلّم السّحْر وحَذِقَه ، وبلغَ فِى المَهارةِ فِيه حَدًّا لم يَبلُغْه أَحَد ، فَهوُ بِسِحْرِه يَنْقلُ

القُصور ، ويمسَخُ الإنْسَانَ ، ويُنزِلُ المطرَ من السَّماءِ ، ويَفعلُ بسحْرِهِ غير ذلَك فى يُسرٍ وسُهولة ، وأسْرع زمَن ، وكان هذا الرجل عَنِيدًا يُحِبّ نَفسَه ، ويَكره أن يَرَى خَيرًا يَسلُكُ سَبِيلَه إلَى أحدٍ غَيرِه ، وَفظًّا غَلِيظًا ، قَلْبُه من حَجَر .

سَحَر هذا الرجلُ الأَميرَة عُصْفُورة ، وسَحَر الأَميرَ الذى اختارَتْه زَوجاً لها ثُعْباناً ، ثم دَفَعهُما بِسِحرِه إلَى أَنْ يُغادرا قَصْرَيْهما إلَى غابَة لاَ تَبعُدُ عَنْ مَدِينَتَيْهما كثِيرًا ، حَيثُ تَأْوِى العُصْفُورَةُ إلَى عُشٍّ مَهْجُور فَوْقَ شَجرةٍ كبِيرَةٍ مِن أَشْجار الرُّمَّان ، ويَأْوِى الثّعبانُ إلَى شَقٍّ تَحتَ جِذْعِ هَذِه الشَّجَرةِ نَفْسِها .

* * *

أَوَت العُصفُورةُ إلى عُشٍّ فى شَجرةِ الرّمان ، وسَكَن

الثُّعبانُ فى شَقٍّ تَحتَ جِذْعِها ، وكانَتِ العُصفُورَةُ إذا ظَهرَ ضَوءُ الفَجْر وأَخَذَ يَمسَحُ عَنْ وَجْهِ النَّهارِ ظَلامَ اللّيلِ تُزقْزِقُ فِى صَوْتٍ حَزِينٍ قَائِلة :

يا فَالِقَ الإِصْباح ، يا عَليمُ يا فتاح ، قَد قَسَمْتَ القُوَى بَينَ خَلقِك ، وجعلْت فِيهم القَوِىَّ البَاغِى ، والضَّعِيفَ الشَّاكِى ، وحَميْتَ الضَعِيفَ بِرَحْمتِك ، ودَافَعتَ عَنْه بقُدْرتِك ، قد أَسْلمتُ أَمرِى إلَيك ، وأَلْقَيتُ نَفْسِى بَيْنَ يدَيْك ، فلَيسَ لِى مَلجأٌ إلاّ إِليْك ، وعِلْمُكَ بِحالِى ، يَكْفِى عَن سُؤَالِى .

وإِذَا جَنَّ اللّيلُ وسَكَنَ زَقْزقَتْ فى صَوْتِها الحزِين قائِلة :

يا مَنْ جَعلْتَ اللّيلَ سَكناً ، ينَامُ فِيه الظّالمُ البَاغِى مِلْءَ جُفونِه ، ويَسْهرُ فِيه المظْلُومُ الشَّاكِى مِلْءَ عُيونِهِ ، قَد أَسْلَمتُ أَمْرِى إِليْك ، وأَلْقيتُ نفسِى



يا أرحم الراحمين ، ألطف بخلقك ، واستجب لمن دعاك من عبادك

بينَ يَدَيْك ، فَليسَ لِى مَلجأٌ إلا إليك ، وعلمُكَ بحالى ، يكْفى عَن سُؤَالى .

وكان الثّعبَانُ إذا سَمِعَ زَقزَقَةَ العُصْفورَة وجَدَ لذَّةً فِى نَفْسِه ، وحَنِيناً قَوِيًّا إلى سَماعِه ، ثم قالَ بَعدَ أَنْ تَفرُغَ مِنْه :

اللّهُمّ كَما خَلّصْتَ نَبِيَّكَ يُونُسَ مِن الحُوت ، خَلّصْنِى من سِحْرِى هَذَا قَبلَ أَنْ أَمُوت .

• • •

كانَت الرِّيحُ تَنقُل زَقزَقةَ العُصفُورةِ إلى عَابدٍ تَقِيٍّ فى صَوْمَعةٍ لَه فوقَ جَبلٍ مُطلٍّ عَلَى هَذهِ الغَابةِ ، فإذا سَمِعَها العابِدُ اهْتزَّ قَلْبُه ، واقْشعَرّ بدَنُه ، ورفَعَ بَصَرهُ ويَدَيْهِ إلَى السّماءِ وقال :

يا أَرْحَمَ الرَّاحِمين، الْطُفْ بَخلقِك ، واستَجِبْ

لِمَنْ دعاكَ مِن عِبادِك ، ولاَ تَجعلْ فيهمْ شَقيًّا ولاَ مظلوماً ، فأَنْتَ أَعلَمُ بِحالِهم ، وعِلمُكَ بِحالهم يَكْفِي عَنْ سُؤالِهم .

• • •

اختَفَت الأَميرةُ فجأَةً من قَصْرِ أَبِيها ، واختفى الأَميرُ الذى اختارتْهُ زوْجاً لها فَجأَةً من قصرِأَبِيهِ ، وكانَ ذلِكَ فى وقْتٍ وَاحِد ، وامْتلأَ الْقَصْران بالقَلَقِ والحَيْرة ، والجَزَع والْأَسَى ، وتَتَابَعت الرُّسُلُ بَيْن المَلِكَين ، والدِ الأَميرة ، ووالِدِ الأَمير ، هَذا يَسأَلُ عَن ابْنهِ ، وذاكَ يَسْأَلُ عَنْ بِنتِه ، فكانَ كُلٌّ مِنْهما لا يَعلَمُ شَيئًا عَن الأَمِيرِ والأَميرة ، ويَشْكُو شَكْوى صاحِبِه ، ويُقاسِى النَّكبَةَ التِي يُقاسِيها صاحِبُه .

اهتَمَّ كُلُّ مَلِكٍ بولدِه ، وأَطْلَقَ الرُّوّادَ والباحِثِينَ

من فُرسَانِه وجُنودِه يبحثُون عَنه فى المدُن المجاورَةِ ، وفى الخَلواتِ والفَلَوات ، ويَسأَلونَ عَنْه القَادِم والرَّاحِل ، والمُقِيمَ والعَابِر ، فكانَتْ جُهودُ الباحِثين تَضِيعُ سُدًى ، ويَرجعُ الواحِدُ منْهم إلَى قَصْرِ الملِكِ وعَلَى وجْهِه غَبَرةُ التّعَب ، وكُسُوفُ الفَشَل ، وظُلمةُ الحُزْنِ والألَم .
وقَعَ كُلُّ هذا والسّاحِرُ العنِيدُ فى بَيتِهِ ، يَضْحكُ مِلءَ قَلبهِ وفَمِه ، ويَهْتَز هِزّة الطّربِ والنّشْوَة .

• • •

حَزِنَ أَهْلُ مدِينَةِ الأَمِيرَةِ حُزْناً أَلِيماً على فَقْدِهَا ؛ لأَنَّهم يُحبونَها حُبّاً كثِيرًا ؛ إذ كانَتْ معْروفَةً فِيهِم بالعَطْفِ علَيْهم ، ومَحبَّةِ الخير لَهُم ، وكثيراً ما أَعانَتْ مَنكُوباً ، وأَنْصَفَت مظْلوماً ، وأَطْعَمتْ مَحْروماً ولهذا قامُوا مِن أَنفُسِهم يَمْشون فى مناكِبِ الأَرضِ

باحِثين عَنْها ، ومَن لَمْ يَستطِع السَّعْىَ مِنْهُم حَضَّ المُستطِيعَ وعاوَنَه بِما يَحْتاجُ إِلَيه من المَالِ ، وكان اهتِمامُ أَهلِ المدينَةِ بالأَميرةِ فَضْلاً عَرَفَه الملِكُ وحفِظَهُ لَهُم ، كمَا لطّف من أَحْزَانِه علَى بِنْتِه ، وإِنْ كانُوا لم يَحْصُلوا منْ سَعْيِهم علَى فائِدة .

كانَ فِيهم فَتًى قَوِىٌّ جَرِىءٌ فَقِير يكْسبُ رزقَهُ مِن عَرَقِ جَبِينِه ، ويتناوبُ أَصْحابُ الأَعْمال استئْجارَه تَبعاً لحاجَتِهم إِلَيْه ، فكانَ يَعمِلُ يَوماً هُنا ويَوماً هُناك ، هذَا الفَتَى دفَعه الأَلَم لفَقْدِ الأَمِيرة إِلَى أَنْ ينْفِلت من المدينةِ إِلَى الفلَواتِ ساعِياً باحِثاً ، يَدخُل الكُهوفَ والمغَارات ، ويهْبِطُ إِلى الوِدْيان ، ويصْعدُ فى الجبال ، حتَّى عَثَر بالعابِدِ فَوْق الجَبلِ الذِى يَحْتَضِنُ الغابَة التى نَفَى الساحِرُ إِليْها الأَميرَ والأَميرَة ، فحيَّاه وسأَله

عَنْهما فقالَ لَه العابِدُ :

ما رَأَيتُهما يا بُنَى ، ولا أَعلَمُ شيئاً عَنْهُما .

قالَ الفَتَى :

أَلَمْ تَشعُر حَولكَ وفِي هذِه الغَابة تَغْييرًا يلفتُ النَّظَر ؟

قال العابِد :

الحالُ كما هِي يا بُنَىّ مُنذُ سنَوات ، ولكنّ شيئًا جَديدًا طَرَأَ عَلَى هَذه الْغَابَةِ مُنذُ بضْعةِ أَشْهر .

قال الفَتَى :

ومَا هُو ؟

قال :

منذ بِضعةِ أَشْهُر سَمِعتُ عُصْفورةً تُزَقْزِقُ فوق شجرة من أَشجار الغَابَةِ زقْزقة شَجِية حَزِينَة تكاد

تَنطِقُ بِما تَحملُه العُصْفُورَة مِن الهُموم والأَحْزان ، وهى دائبةٌ على زَقْزقَتها هذه فى مَواعيد مَحدودَة لاتَتقدَّم ولاَ تتأَخَّر ، فهى تزقزق عِندَ طلوع الفَجْر مَرَّة ، وعند دُخولِ المَساءِ مَرَّة ، كل يَوم ولَيلَة ، ولو بقِيتَ عِنْدِى الليلة لسَمِعْتها فى هَذَيْن الوقْتَين .

قال الفتى :

وما أَثر هذه الزَّقْزقة عِنْدَك ؟ وماذا تَفْهمُ مِنْها ؟

قال :

ظنَنْتُ يا بُنىّ أَنَّها عصْفُورة مَنْكُوبة تَشكُو ، فتَأَثرْتُ مِن زَقْزَقتِها ، ودعَوتُ لَها ولكُلِّ منكوبٍ مِثْلِها ، وكنتُ أَبيتُ متأَثرًا مِن أَجلِها ، فرأَيتُ فى مَنَامِى كأَنّ تِمثالَيْن مِنْ فِضَّة بَيضَاء لامعة أَمامى ، أَحدُهما لِفَتى ، والآخَر لفَتاة ، وقد انْتَصبَا واقِفَين

لا يَتحركانِ ولاَ يتكَلّمان وقد أَمْسكَ أَحدُهما بيدِ الآخرَ ، وإذا بِعصفُورة حَطّتْ على رأْسِ الفَتاة ، وجَعلتْ تَحكِي الزقزقَة الّتِي أَسْمعُها دائِماً مِن عُصفُورةِ الغَابة ، ولما فَرغَتْ مِنْها طَارَت ، وحِين اخْتَفَت عَن بَصرِي اختفى التِّمثالاَن ، وانتبهْتُ من نَوْمى . ولكنى لمحتُ التمثالَ الآخر كأَنّ ثعباناً طوِيلا طَوّقه من وَسَطِه ، كما لمحتُ سلسلةً رفيعة أَحاطت بعُنُقَى التمثالين.

وهذَا الذِي سَمِعتَه يا بُنَىّ هُو كُلّ جَدِيدٍ طرَأَ على هذهِ البُقعةِ التِي من حَوْلِي .

قال الفتى :

وما تأْويلُ رُؤْياك يا سَيدى الشيخ ؟

قال :

لا أَعرِفُ شَيئاً عَنْ تأْويلِ الأَحْلام ، ولكنّى

أَدلُّكَ علىَ كاهِنٍ يَصْدُقُ فى تَأْويلِه ، ويَستفْتِيه كُلُّ مَن كانَ فِى حاجة إلى تـأويل رُؤْيَاه ، فإذا كُنتَ قَد حَفِظْتَ عَنّى رُؤْيايَ ، وكانَ لَكَ رغْبةٌ فى تفسيرها فاذْهَبْ إليه .

قال الفتى :

وأين يكونُ يا سَيِّدى الشيخ ؟

قال :

انْزِل إلى هَذا الوادِى الذى فى أَسفل الجبَل ، ثم سِرْ إلى الأَمام جاعِلاً الجبلَ عَنْ يَمينك ، واسْتَمر فى مَشْيِك حَتَّى تَعثُر بكَهفٍ فى الجبَل ، أَمامه شَجرة كبيرة تُظَلّل من الأَرض رقْعةً وَاسِعة ، هذا كَهفُ الكَاهِن ، وسَتَجِدُه فيه .

• • •

حَيّا الفَتى الشيخ العابدَ وشكرَ لَه حُسْن لقائِه وسَعة صَدْرِه وحِلْمه ، ثم هَبطَ إلى الوادِى ، وأَخذَ طريقه جاعِلاً الجَبل عَنْ يَمينهِ ، واسْتَمرَّ يَمْشِى أَكْثر من سَاعَتين حتى كانَ أمامَ الكهْفِ ، وفى ظلّ الشّجرة الكبيرَة . ولما رآه الكاهِنُ ظَنّه فى حاجَةٍ إليهِ ، فَخرجَ من الكهفِ وسَلّم عليه ، ثم جَلَس به على أَرْضٍ رَمْليةٍ نظيفة تحت الشّجَرة وقال له :

أَلَكَ حاجةٌ أيّها الفَتى ؟

قال : نَعم ، ومَا جِئْتُك إلا مِن أجْلِها .

قالَ : قُلْ حاجتَك ، وهِى مَقْضِيةٌ بإِذْنِ اللهِ ، مَا دمتُ أَسْتطيعُ قضَاءَها .

قال الفَتى : حُلم أُريدُ تأْويلَه .

قال الكاهن : أَرْجُو التوفيق من رَبّى .



فلما رآه الكاهن ظنه فى حاجة إليه ، فخرج من الكهف وسلم عليه

قال الفَتَى : خَطبَ الأَميرُ ابنُ مَلكِ المدينَةِ الّتى تجاورُ مَدينَتَنا ـ الأَميرةَ بنتَ مَلِكنا ، وبَعدَ أَنْ قُبلت الخِطْبةُ ، اختفَى الأَميرُ والأَميرةُ فَجأَةً ، ونَشِطَت المدينَتان فى البَحثِ عَنْهما ، وكُنتُ مِمّن خَرجُوا للبَحثِ عَن الأَميرَة ، وجاءَتْ بِى قَدَماىَ إلى هذا الجَبل ، فلمحتُ على قِمَّتِه صَوْمَعة ، وصَعَدْتُ فِيه حَتَّى كنْتُ عِنْد بَابِها وأَمامَ شيخٍ كَبيرٍ عابدٍ فِيها ، فَهشَّ فى وجْهِى وطَمأَنَنِى وأَجلسَنى إلَى جانِبه ، ثم سأَلْتُه عن الأَميرة والأَمير .

فقال : لاأَعلمُ عَنهما شَيئاً ، فسأَلْتُه عَنْ شىءٍ جَدِيد حَدَث فى بُقْعتِه ومِن حَوالْيه فقال : الجَديدُ الذى حَدث أَنِّى مُنذُ بِضْعةِ أَشهر ، سَمِعتُ زقزقةً حَزِينةً لعُصفُورةٍ علَى شجرة من أَشجارِ الغابةِ التى يحتَضِنُها هذا الجبل ،

وكنت أَسمَعها على الدّوام عِندَ دخُول المساءِ ،وعند طُلوع الفَجر ، وكنتُ أَبيتُ متأَثرًا بها ، فرأَيت ذَاتَ لَيْلَةٍ فى منامِي كأَنَّ تِمثالَيْن من فضةٍ بَيْضاءَ لامعةٍ أمامِي ، أَحدُهما لفَتًى ، والآخرُ لفَتاة ، وقد انْتَصبا وقِفَين لا يتحركانِ ولايتكَلّمان ،وقد أَمسَك أَحَدهما بيد الآخر ، وإذا بعُصفُورةٍ حَطتْ على رأْسِ الفتاة ، وجَعلتْ تحكِي الزقزقة التى أَسْمَعُها دائماً من عُصْفورَةِ الغابة ، ولما فرغَتْ مِنْها طارت ، وحِينَ اختفَتْ عن بَصرِى اختَفَى التمثالان ، وانتبهْتُ من نومِى ، ولكنِّى لمحتُ التمثالَ الآخَر كأَنَّ ثُعباناً طَوِيلاً طَوّقَهُ مِن وَسَطِهِ ، كما لمحتُ سلسلةً رفيعة أَحاطت بعنقَى التمثالين .

فسأَلتُ الشَّيخَ العابد تأْويل رُؤْياه ، فقال :

لا أَدْرِى ، ودَلّنِى عَلَيك، وهأَنذا قد جئتُك لتَأْوِيلها .

قال الكاهن :

هل خطبَ الأَميرة أَحد غَيرُ هذا الأَمير ؟

قال الْفتى : خَطَبها كثيرٌ من الأُمراءِ وأَبناءِ الملوك ونُبلاءِ الأَعْيان ، وبلَغَ التَّنافُس بَينَهُم فِيها أَشُدَّه ، حتّى تَمنَّى كلٌّ مِنْهمُ أَنْ يَمْحُوَ الآخَر ويُنَحّيَه عَن خِطْبتها .

قال الكاهن : انتَظِرنى فى مَكانِكَ هذا حَتّى أَعود إلَيْك ، ثم قام ودخَلَ الكَهفَ ، ولبث الفَتَى يَنْتَظِر عَودَتَه .

عَكف الكاهِنُ فى الكهفِ وقتاً غَيرَ قَصِير ، ثم عادَ إلى الفَتَى وجَلَس بجوارِه وقال :

اسْمع يا بُنَى ، التمثالانِ اللذان رآهما الشيخ العابِدُ

فى مَنامِهِ يَدُلان على الأَميرِ والأَميرة قد سَحَرهُما سَاحِرٌ مَاهِر .

وأَما العُصْفُورة والثُّعبان فإنهما يَدُلان على أَن الأَميرةَ سُحِرتْ عصْفورة ، وأَن الأَمِير سُحِر إِلى ثُعبان .

وأَمّا اختِفاؤُهما عَنْ بصَر العابِد والسِّلسِلة التى أَحاطتْ بعُنقَىِ التمثالَيْن فإِنَّهما يَدُلان علَى أَن الأَميرَ والأَميرة لاَ يفكّهما من سِحْرِهما إِلّا سِلْسِلةٌ فى عُنُق تِمثالٍ أُقِيم وسطَ مدينةِ السِّحر ، تُلمَسُ بها العصْفورة ، ويلمَسُ بها الثّعبان .

أَما الزّقْزقة التِى سَمِعها الشيخُ فى مَنامِهِ فإنها تدلُّ على أَن عُصفورةَ الغابة وصاحِبة هذِه الزقزقة هى الأَميرة المسْحُورة .

وأَما تماسُكُ اليَدَين فإِنه يدلُّ على أَنَّ الثّعبان مع العُصْفورة فى الغَابة ، وأَنه لا يُفارقهَا أَبدًا .

وهذا يا بُنَىّ تَأْويلُ رُؤْيا الشيخ العَابِد ، واللهُ أَعْلَم .

قال الفَتى : وأَين مَدينَةُ السِّحر ؟

قال الكاهِن: إنَّها وراءَ جَبل « واق الواق » وبينك وبينَها مسيرُ أَعْوام ، وسَتَلقَى فى مَدينةِ السِّحرِ أهوالاً لم تخطرُ علَى بالِك ، ونَصِيحَتِى لكَ ، إنْ كنْتَ أَنتَ الذاهب إليْها ، أَنْ تكونَ ثابتَ القَلب ، وأَلاّ تَخافَ من شَىءٍ فيها ، مَهْما تَجد من الأَهْوالِ المُفْزِعَة ، والمَنَاظِرِ المُخِيفَة ، فى تلِكَ المدينَة ، والْزَم التَّقَدمَ إلَى الأَمَام دائِماً فى تلك المدِينَة حتَّى تَحصلَ علَى السِّلسلَةِ من عُنُق التِّمثَال ، فلَنْ يَضُرَّكَ شَىءٌ فِيها.

قال الفتى : وبَيْنِى وبَيْن المدينَةِ المسْحورة أَعْوامٌ أَقضِيها فى المسِير إلَيْها ؟

قال الكاهن : نعم يا بُنَىّ ، بَينكَ وبيْنها عَشَراتُ الأَعْوام .

قال الفَتى : أَلا تَدُلُّنى علَى وَسِيلةٍ أَسْتطِيعُ بِها

أن أَصِلَ إلى تلكَ المدينَةِ فى مُدةٍ وَجيزَة ؟

قال : سِرْ فى طَريقِك ، والجَبلُ عنْ يَمينِك ، حتّى ترى فوقَه صَومَعة مِثلَ صَومَعةِ الشيخ العابدِ الذى قَدمْتَ إلىَّ مِنْ عِنْدِه ، وهذه الصّومَعةُ تسكُنُها جِنّيّةٌ صَالِحة ، تُحِبّ أَنْ تَفعلَ الخيرَ مَع من تَعرِف ومن لا تَعرِف ، فاذهبْ إليْها وارْجُ مِنْها أَنْ تُكَلِّف جِنِّيًّا يَحمِلُكَ إلى المدِينةِ المسْحُورة ، وهُناك يَنْتَظرك حتى تُحضِرَ السّلْسِلة ، ثم يَحملُك وتعُود .

قال الفَتَى : جِنِّيّة ؟ ! ! !

قال الكاهن : لاَ تَخفْ مِنْها أَبدًا ، فَقدْ قُلتُ لكَ إنّها صالحة .

* * *

سارَ الفَتى حتى بَعُدَ عَن الكَاهِن كَثيرًا وهُو لا يَجدُ صَومَعةَ الجِنِّية، فاسْتَيأَسَ ووَقَف ، وظَنَّ أَنَّ الجِنِّيةَ انتقَلتْ بَصَومَعَتِها إلى مكانٍ آخَر ، وراوَدَتْه نَفسُه أَنْ يرجعَ إلى الكَاهِن ، ولكِنْ دفَعتْه طَاعتُه إلى أَنْ يَسير ، فَمشَى ثُم مَشَى حتى بانَتْ لهُ ، فجدَّد نَشَاطَه وأَسْرَع فى مَشْيه حَتّى كانَ عِندَها ، فلمَّا رأَتْه أَمامَها ظَنَّتْه ضَالاً .

فقالتْ لَه : لعَلَّكَ ضَللْتَ السَّبِيل وتِهتَ فى هذهِ الفَلاَة.

فقال : ما ضَللتُ ولاَ تِهتُ ، ولكنّى قَدِمتُ إليكِ فى خَيرٍ تَفرَحِين به ، وتُحبّينَ أَنْ يكونَ لَكِ فى تَحقِيقه نَصيبٌ كَبِير .

قالتِ : اجْلسْ وهاتِ ما عِنْدكَ ، فجلَسَ وقَصّ علَيْها قِصّةَ الأَمير والأَميرة المسحورَتَيْن مِن أوّلها إلَى

أَنْ كان هُو مَعَها فى صَوْمَعتها ، وطَلبَ مِنْها أَنْ تتولىّ حَملَه إلى المدينَةِ المسحُورة . ثم عَوْدته مِنْها بَعدَ أَن يحصُلَ علىَ السِّلسلةِ الذَّهَبية .

فقالت : سَعْيكَ مَشكور ، وفَضْلُكَ عَلىَّ كَبير ، إذْ جَعلْتَ لِى نَصِيباً مَوْفورًا فى تَخلِيص الأَمير والأَميرة من سحِرِهِما ، فَهُو خَيْرٌ عَظِيم لاَ يَمتنعُ عن عمله إلاَّ شَقِىٌّ مَحرومٌ مِن رَحْمةِ رَبِّه ، ثُمَّ مَدَّتْ يدَها إلى قَضِيب فِضِّىٍّ كان بِجِوارها ، وضَربَتْ بِه الأَرضَ ثلاثَ ضَرَبات، فَسمِعَتْ له رَنِيناً طَويلاً ما كاد ينتَهى حَتَّى وجَدتْ أَمامَها ماردًا هائِلاً يَقول : لبَّيكِ لبَّيْك ، هأَنذا بَينَ يَديْك .

فقالت : احْملْ هذَا الفَتَى وطِرْ به إلى المدينَةِ المسْحُورة وراءَ جَبَل «واق الواق» ، وانتظرهُ حتىّ يُحضِر

مِنها السِّلسِلة الذهَبِيةَ ، ثم احْمِلهُ وائتنِى بِه علَى الفَوْر .

قال المارِدُ : سَمْعاً وطاعَة ، والْتَفتَ الماردُ إلَى الفَتى وقال :

اركَبْ ظهرِى وأَمسِكْنِى بِيَديْكَ ، وأَغْمِضْ عينيْكَ ، ولا تفتحهما أَبدًا حتّى أَهبِطَ علَى الأرض ، فإنّكَ إن فتحتَهُما وأَنا طائر بِك ، ووَجدْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ السماءِ والأَرضِ غُشِيَ عَليكَ ، ووقَعْتَ علَى الأَرضِ مَيِّتاً .

طارَ المارِدُ بالفَتَى ، وبَعدَ ساعةِ من الزّمَن هَبطَ به علَى الأَرضِ أَمام المدينَة المسْحُورة ، ثم أَنْزلَه عَن ظهره وقال له :

هَذِه المدينَةُ المسْحُورة ، فادْخُلْها ، وهَاتِ حاجَتكَ مِنْها ، وسَأَنتظِرُكَ فى هذا المكان .

• • •

كانَت الجِنّية الصالحةُ قَد علَّمته كَلمات يَقُولها أَمام بابِ المدينَةِ المُغلق ليُفتَح لَه ، وحَفِظَها عَنْها ، فَلما جاءَ المدينَةَ وجدَ البابَ مُغْلقاً فوقَف أَمَامَه ونَقَر بسَبَّابتهِ البابَ ثلاثَ نَقراتٍ خَفِيفَة وقالَ ما حفِظَه عنها :

طَنْهُورِش ، بَرْقُودِش ، استَيقظْ ياناعِس ، بَيْن الخَوانِس ، وافْتح يا حارس ، أَبوابَ المحابِس .

انْفتَح البابُ على مِصْراعَيْه ، وكان عَرضُه عَشْرة أَذرع ، فلما دخَل وخَطا خَطوتَين وجَد رَجُلا واقِفاً وقَد شَخصَ بِبَصَره إليْه ، فَحيّاهُ الفَتَى فَلَمْ يُجبْه ، فاقْتَربَ مِنْه ومَدّ يدَه ليمسِكَهَ من ثَوبه ويُنَبِّهَه فأَحَسّ إنْساناً مِنْ خَلْفِه يَدفَعه فى طَريقهِ ، فالتفَت إليْه فَلمْ يَجِدْ أَحَدًا ، فَخافَ ومَشَى إلى الدّاخِل ، فرأى

عَلَى جانِبَى الشَّارع الذى يَسِير فيه المَنَازِل مُقَامَةً وذاتَ شَكْل جَميل ، ومِن تحتِها دكَاكين التّجارة ، قَدْ وقَفَ التُّجارُ فِيها للبَيْع ، وأَمامَهمْ زبائنُهُم بيْن واقِفٍ وجَالِس ، ولكنَّهم لا يتحركُون ولا يتكَلّمون ، وكأَنَّهُم تماثيل مَنْصوبة . فوَقَفَ قَليلاً وحدثتْه نَفسُه أَن يَتَّجه نَحو دكّانٍ ويُنَبِّه بيَديْه الواقفِينِ فأَحَسَّ دفعةً أَشدَّ وأَقْوى من الدفعةِ الأُولى ، تدفَعُه إِلَى أَنْ يَمْضِى فى سَبيلهِ قُدماً ، فخافَ ومَضَى ، وأَدركَ أَنَّه إِن لمَسَ أَحدًا من هؤلاء المسْحُورين فَقد عرَّضَ نَفسَه للضَّرَرِ أَو التَّلف ، وانحنَى به الطريقُ إلى اليَمين فانْحنَى مَعه ، وسارَ وهُو يَرى كُلَّ مظاهِرِ الحياةِ فيها كاملة ولكنَّها جامِدَة لا تتحرك ، حتى كان فى وسَط المدينة ، فوقَع نَظَره علىَ حَديقة فَسِيحة ، فيها الأَشجار



رأى وسط الحديقة تمثالا لأسد . . أقيم على قاعدة من المرمر اللامع
ومن حول رقبته سلسلة ذهبية مدلاة

المخْتلفَة قد أَثقلَتْها ثمارها ، ورأى فى وسطِ الحديقةِ تِمثالاً لأَسَدٍ أُقيم على قاعِدةٍ من المرْمرِ اللَّامع ، ومِن حول رقبتِه سِلْسلة ذهبية رفيعةٌ مدلاَّة على صَدرِه ، فأَسرع إليه ، واعْتلى قاعِدةَ التِّمثال ، ومَدّ يدَهُ ونَزع السّلسِلة عَنْ رقبتِه وأَخذَها وأَسْرعَ ماشِياً إلى المارِدِ حَيثُ ينْتظِرُه ، وما كاد يَخْرجُ مِنْ باب المديَنة حتّى اندفَع من خَلفِه فى قُوة ، وأُغلِق كما كان .

• • •

ركبَ الفَتى ظهر المارِدِ الذى كانَ ينْتظِره ، وطار به حَتّى حَطّ أمام الجنِّيةِ الصّالحة ، فَفرِحتْ بعَودةِ الفَتَى ومَعه السلسلة الذَهبية وسَرّحَت الماردَ ، وقالت لِلفَتَى :

ارْجع إلى الغَابَةِ ، واسْلُك الطَّرِيقَ الذِى جئْتنِى

مِنْه ، فشكَرَها وَحيَّاها وأَخَذ طَرِيقه عائِدًا جاعِلاً الجَبلَ عنْ يَسارِه . ولما وصَلَ إلى كَهفِ الكاهِن وَجَده جالِساً وحده تحتَ الشّجرة فحياه وجَلسَ مَعه ، وحَكَى له مَا فَعلَه ، وأَراه السّلسلةَ الذهبية التى أَحضَرها ، فقال له الكاهِن :

إذا وصَلت إلى الغَابةِ فإِنَّكَ سَتعرف العصْفورةَ ومكانَها حين تَسْمع زقْزَقَتها فاذهَبْ إليها ، وسَتجدُ الثّعبان فى شَقٍّ قَرِيبٍ من الشَّجرةِ ، ويَغلبُ على ظَنِّى أَنه تَحتَ جذْعها ، فإذا سَمِع الزقزَقَة خرجَ من جُحْره واسْتَمع لها فى حَنِين وأَسًى ، ورُبَّما سَمعتَ له صَفِيرًا يردُّ به عَليْها بَعد أَن تَفْرغ من زقْزَقتها ، فإذا كنت عِندَ الشَّجرة فقل لَهما :

أَيتُها الأَميرة المسحورةُ إلَى عُصْفورَة ، ويأَيها الأَمير

المسحورُ إلى ثُعبان ، تعالَيَا إلىَّ ، فَقَدجئْت لأُخلصَكُما من سِحْركُما بِهذِه السِّلسَلةِ الذَّهبِيَّة .

إذا قلتَ ذلك أَسْرَعا إِليكَ ، وكانا بين يَديْكِ ، وحينئذٍ تلمِسُ كلاًّ منْهما بتلك السِّلسِلة ، فَيذْهبُ عنْهما السِّحر ، وتجدُ أَمامَكَ الأَمير والأَميرة فى خَلْقِهما الإِنْسانِيِّ الأَوّل ، وعندئذٍ تأْخُذونَ طريقكم إلَى المدِينة .

فشكره الفتَى وودّعه ، وأَخَذ طريقه إلى العابدِ فى صومعته ، فَلمَّا قدم إليه جلسَ بِجواره وأَخبره بما جرَى مُفَصَّلا ، فقال له :

قُمْ إلى الغَابة ، وقد عرفْت مَوعِد الزقزقَةِ فى الصباح وفى المَساءِ ، وجَزاكَ الله بتَعبكَ هذَا خَيْرًا . وأَرى أَن تبيتَ يا بُنَيَّ عِنْدِى ليلتكَ هذهِ علَى أَن تمضىَ إلى

الغابَةِ قُبَيْلَ الفَجْر وقبل الزَّقزقة ، واعلم بأَن الزقزقة تخرج من هذا المكان القريب من حافةِ الغابة ومن سفح الجبلِ الذى تحتَ صومَعتِى هذِه - وأَشار بيدِه إلى مكانها .

• • •

بات الفَتى عِندَ الشيخ العابِد ، وقبيل الفجْر وقَبل الزقزقة نزل مُسْرِعاً إلى المكان الذى أَشار إليْه العابد من الغَابة ، ووقف الفتَى ينتظر الزقزقة .

لم يلبث الفتى قليلا حتى كانت الزقزقة تدوِّى فى أَرجاء الجو ، فأَسْرع إلى مكانِها ، ووقف تحتَ شجرة العصْفورةِ حتَّى انتهت من زقزقتها ، وكان الثُّعبان قد خرجَ من جُحْره يَستمع الزقزقة ، ثم بدأَ يردّ عليها بصَفيره ، ولما انتهى من صَفيره قال الفتى لهما :

أَيتُها الأَميرةُ المسحورَة إلى عُصفورة ، ويـأَيّها الأَمير المسحور إلى ثعبان ، تعالَيَا إلىّ ، فقد جئتُ لِأُخَلّصكُما من سِحركما بهذِهِ السلسلِة الذَهَبِيّة ، فلما سَمِعا من الفتَى قولَه هذا كانا فى الحال بين يديه ، فَلمسَهما بالسِّلسلة فوجَدَ أَمامَه الأَمير والأَميرة ، فانكبّا عليْه يقبّلان رأْسَه ويديه ، ويشكران لَه هذا المعْروفَ الجميل .

انْطلَقَ ثلاثتُهم إلى المدينَة ، وكانوا فى قَصْر الملِكِ وقْتَ الضُّحا ، وكانَتْ مفاجأَة سارة للملكِ والد الأَميرةِ ، وطار نَبأُ قُدومهما إلى أَرجاء المدينة ، وإلى الملكِ والد الأَميرِ ومدينته .

هاجت مدينة الملك والد الأَميرة فرحاً بقدوم الأَميرة ، وغُص القصر وساحتُه بأَهلها وبالملِكِ والد

الأَمير وأَهل مدينَتِهِ ، وفى هذا الجَمع الحاشِدِ قَصّ الْفَتى ما فَعله وأَراهم السّلسلة ، وأَيّد الأَمير والأَميرة قوله ، فأَنْعم الماكانِ عليه برتْبة الإِمارَة ، وزوَّجه الملكُ والد الأَمير ابنتَه ، وزفّت العروسان إلى الأَميرين فى حفل جامِع كُلِّه فَرحٌ وبَهْجة .

أَما الحاسِدُ السَّاحر فقَد فوجئَ بقدوم الأَمير والأَميرةِ ، فلم يحتَمل الصَّدْمة ، ومات لساعتِه ، ومَضى إلى آخِرَتِه ليلقى فِيها جزاءه .

فرغ الوالد من حكاية « الفقير الطامح » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » . . . طاب مساؤكم ، وتصبحون على خير . . .

وكانت الليلة التالية فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالى . . .

وكانت حكاية الليلة... حكاية « العجوز والشيطان » :

العجوز والشيطان

فى مَلْهَى القريةِ الذى يمتلئُ كلَّ ليلةٍ بِرُوَّادِه ، جَلَسَ الشيطانُ عَلى مَائِدَةٍ مُنْعَزِلَةٍ فى زَاوِيَةٍ من زاويا الملْهَى ، حيثُ لا يَخْفَى عن بصرِهِ الرُّوَّادُ والخدمُ والمسرح وفرقَةُ الموسيقى ، وكان الشيطان فى صورة رجلٍ ضخمِ الجُثَّةِ ، مديدِ القامةِ ، ذى سُمْرَةٍ مَشُوبَةٍ بحُمْرة، وعلى رأسِهِ قُبَّعَةٌ يزينها شريطٌ جميل أَخضرُ .

كان المسرحُ يموجُ بالفتيانِ والفتياتِ ، والخدم

يَروحُون ويغْدُون فى لهو ومرح والموسيقى ترسِلُ أَلحانَها الشجيَّةَ الراقِصَة .

وجَلَسَ على مائدةٍ قريبةٍ من مائدةِ الشيطانِ عجوزٌ شَمْطَاءُ شيباءُ ، تجعَّدَتْ أَساريرُ وجهها ، وغارت عينَاها ، ورسَمَتْ عروقُها خطوطاً زرقاءَ فى يَدَيْها .

لم يكن يُجَالِسُها أَحدٌ على مَائِدتِها ، ولا يلتَفِتُ إليها أَحدٌ إلاّ بالنظرة الخاطِفَةِ ،تعقبُها ابتسامة طويلةٌ ساخِرَةٌ ، وكانت حانِقَةً ساخطة ، ترسلُ فى الجوِّ أَنفاساً طويلةً ساخِنَةً ، وصَدْرُها يصعدُ ويهبط كأَنَّه كورُ الحدّاد .كلُّ ذلك لأَنَّ الرُّوّادَ قد أَعرضُوا عنها ونَسُوهَا ، ولم يطمَعْ أَحد فى مُجالَسَتِها أَو مراقصتها .

• • •



لم يكن يجالس العجوز أحد على مائدتها ، ولا يلتفت إليها أحد . . .

أثارت هذه الحالةُ عَجَبَ الشيطان ودَهْشَتَهُ ، فأخذَ يراقِبُها فى خِفْيَةٍ وتَلَصُّصٍ ، وسمعها تَقُولُ بصوت منخفض وهَمْسٍ : آه . . . وا حَظَّاه ! . . . يتراقصون ولا يفتأون يتعبون !.. ولو راقصنى أحدٌ جميع الليلِ ما تركتُه ،ولو كان الشيطانَ نفسَه ! ... آه... واحَظَّاه ! . . .

لم يُطقِ الشيطانُ صَبْرًا عَلَى أَن تَتَحَدَّاه عجوزٌ فانِيَةٌ ، إحدى رجْلَيْها فى القبرِ ، وفى الدنيا رجلُها الثانية .

أَمر الشَّيْطانُ خادِمَ الملهى أَن يأْتيها بكأْسٍ من الشراب لتكون بدايةَ الصِّلَةِ بها ، فأَسرعَ الخادِمُ وقدَّمَ الكأْسَ إلى العجوزِ وقال : هذه من عندِ هذا السَّيِّدِ ــ وأَشار إليه ــ فحيَّتْهُ بِيَدَيْها شاكِرَةً ، وقالَتْ للخادِمِ :

ضَعْها على مائِدَتِه ، فإنى ذاهبةٌ إلَيْهِ ؛ لأَشْرَبَهَا عِنْدَه .

جلست العجوزُ على مائدةِ الشيطانِ ، وشربت الكأْسَ وشكرتْهُ ، وكانت نوبةٌ جديدةٌ للرقص قد بدأت فقَالَ لها :

يُشَرِّفُنِى أَنْ أَجِدَ عِنْدَكِ رغبةً فى مُرَاقَصتى .

قالَتْ : وإنَّ شَرَفى بكَ لأَكْبَرُ فَتَفَضَّلْ ، ثم نهضتْ قائِمَةً ، ونَهَضَ الشيطانُ مَعَها ، ومَضيا إلى الْمَسْرَحِ ، وأَخَذَا يَرْقُصَانِ معاً فى نشاط وخِفَّة حازتا إعجابَ الفِتْيَانِ والفَتَيَاتِ ، وما زَالاَ يَرْقُصَانِ لا يستريحَانِ حتى انتصفَ اللَّيْلُ .

وَخَلَتْ ساحَةُ الرَّقْصِ من الرَّاقِصِينَ والرَّاقِصَاتِ .

وضَعَت العجوزُ يَدَها تحتَ إبطِ الشيْطَانِ ،

ومَضَى بها حَتَّى غابَا عنِ الأَنظارِ ، ثم وَقَفَ يُوَدِّعُها ويستأْذِنُها أَنْ يرجعَ إلى بَيْتِهِ ، فقالَتْ :

لو تفضَّلْتَ عَلَيَّ ، وأَخذتَنِي مَعَك إلى بيتِك ما نسِيتُ معروفَك مَدَى الحياةِ .

قال الشيطانُ : لو كُنتُ من أَهلِ هذه القرية لَشَرَّفَتْنِي زيارَتُك ، ولكنَّ قَرْيتى بعيدةٌ ، وإنى راحلٌ إليها الآنَ .

قالتْ : أُحِبُّ أَن أَكونَ مَعَكَ مَهْمَا تبعدْ قريتُك.

قال الشَّيْطَانُ : ما دُمْتِ راغبةً فى المُضِيِّ إلى بيتى ومُصِرَّةً عَلَيْهِ فطوِّقى بذراعَيْكِ عُنُقِى ؛ لِأَحْمِلكِ على ظَهرِى .

كانتَ تِلْكَ أَمنيَّتَها فأَسرعَتْ وفعَلَتْ ، ثم ضَرَبَ هو الأَرضَ بقَدَمهِ فى قُوَّة ، فانشَقَّت ، وهوى



طوق بذراعيك عنقى لأحملك على ظهرى . . .

بالعجوزِ إلى أَعماقِ الأَرضِ ، حيث يسكُنُ الشياطينُ ، وحسِبَ الشيطانُ ذلِك ربحاً وفخرًا ، إذ اسْتطَاعَ أَن يأْخذَ امرأَةً من سَطحِ الأَرْض إلى أعماقِها .

• • •

طَلَب الشيطانُ أَن تَفُكَّ ذِراعَيْها وتغادِرَ ظهْرَه فأَبَتْ فى إِصرارٍ حاسِمٍ ، وعَجَزَتْ حِيلتُه عن إقناعِ العجوزِ بتركهِ ، وفكِّ ذِرَاعَيْها عَنْ عُنُقِه ، ولبِثَتْ كذلِك عدةَ شهورٍ ، فلجأَ الشيطانُ إلى كَبيرِهِم وطلبَ مِنْهُ أَن يفكَّ رقبته من أَسرِ هذه العجوزِ ، فنظرَ إليهما وهزَّ كَتِفَيْهِ وقال له :

أَيها المعتوه الأَبلَهُ أَما علمتَ أَنَّ كَيْدَ النساءِ أَقوى من كيدِك ؟ لقد أَوْقَعْتَ نفسَكَ فى وَرْطَةٍ لا مَخْلَصَ لَكَ منها فى أَعماقِ الأَرضِ ، فاذهبْ بعجوزِك هذه

إلى سَطْحِ الأَرض ، ثم فكِّر فى حيلة لِتُخَلِّصَ نفسَك منها ، أَما كيفَ تحتَالُ لخلاصِكَ منها فذلك مَا لاَ أَدْرِيه ، وهو موكولٌ إلى مكرك ومهارتك .

• • •

صَعِدَ الشيطانُ بالعجوزِ إلى سطحِ الأَرضِ ، وإن قَلْبَه ليكادُ ينشَقُّ غيظاً وحُزْناً ، وجَعَل يمشِى بِها فى صورةِ إنسانٍ ، مُتَنَقِّلا بِهَا من طريقٍ إلى طريق ، حتَّى وَجَدَ راعِيًا يسوقُ غنمَه وقد ارتدى مِعْطَفاً من الجلد ، فأَسرعَ الشيطانُ إليهِ فحيَّاهُ ومَشَى بجوارِه ، فردَّ الرَّاعى تحيتَه ، ثم قالَ له :

إلى أَيْنَ تمضِى أَيها الرجلُ بعجوزِك التى تحملها ؟

فقال الشيطانُ : لقد قَدِمْتُ من قريةِ كذا حاملاً هذه العجوزَ المسكينَةَ ، وأَنا أَمْشِى بها من شُروقِ

الشَّمْسِ ، وقد جاءَ الأَصِيلُ ولَمَّا أَصِلْ إلى قريتِنَا .

قال الراعى : مِسْكِينٌ ، لقد تَعِبْتَ كثيرًا فى يومِك هذا .

قال الشيطَانُ : لقد أَنهكنِى التعَبُ ، وما عثرت بإِنسانٍ رَحِمَنِى ، وحَملها قليلاً عَنِّى .

فأَشفَقَ الراعِى عليه وقال : هاتِها عنْكَ ، فَلَعلِّى أَنالُ بها أَجرًا ، وفى لمحِ البَصَرِ كانت العجوزُ قد طَوَّقَتْ بِذِرَاعَيْهَا عُنُقَ الرَّاعِى من فَوْقِ مِعْطَفِهِ ، وامتطتْ ظهْرَهُ .

أَما الشيطانُ فإِنه أَمسَك عصَا الراعى ، وقامَ عَلَى غنمِه يسوقُهَا بدلاً منه ، ثم هَمَسَ فى أُذُنِ الراعِى ، شارِحاً له ما فعلتُه العجوزُ بهِ ، ورجا مِنْهُ أَن يحتَال هُوَ للخَلاَصِ مِنْها .

قال لَهُ : صَبْرًا ، فإنِ الفرجَ قريبٌ .

• • •

تَرَكَ الراعي الشيطانَ يسوقُ غَنَمَه ويحرسُها ، وسَلَكَ بالعجوزِ طريقاً آخَر ، وغابَ عنه قليلاً ، ثمَّ رجَعَ إليه وحْدَه ، لا يحمِلُ العجوزَ ولا مِعْطَفَه .

عَجِبَ الشيطانُ منه وقال : ماذا فعلت أَيُّها البَطَلُ ؟

قال الراعي : غطستُ بها فى بحيرةٍ عميقَةٍ ، ثم انسلَلْتُ تحت الماءِ من مِعْطَفِي وتركتُها فى البُحَيْرَة وجئتُ إليكَ ، وسأَنتظِرُ قليلاً حتى تغْرَقَ وتموتَ وحينئذٍ أَجدُ مِعْطَفِي قد طفَا فوقَ الماءِ ، فآخذُه وأَرجعُ به .

قال الشيطانُ : أَحسنتَ صُنْعاً ، وأَرجو منكَ أَلا

ترجعَ إلى البُحَيْرةِ أبدًا ، فإنى أَخشَى أن تكوَن فى انتظارِكَ ، وهذه أَضعافُ ثمنِ مِعْطَفِكَ ، وناوله قبضةَ نقودٍ ذهبيَّةٍ ، فأَخذها الراعى وهو فرِحٌ بها وبانتصارِه على العجوزِ .

قال الشيطان : وإنى شاكِرٌ لكَ حسنَ صنيعِكَ ، وسأَجزيكَ عنه جزاءً يُرْضِيكَ ويسرُّكَ ، فاستمِعْ لما أقول :

إنى سابقُكَ الآنَ إلى المدينة حيثُ بنتُ الملكِ المريضة ، وقد بحث أَبوها عن دواءٍ لمرضِها فلم يجد ، وسيعلن فى المدينة أَنه سيمنَحُ من يشفِى ابنته مكافأَةً ضخمةً ، ولن أَخْرجَ من المدينة حتى تحضُرَ أَنت ، وسيدعوك الملك لتعالج ابنته ، وحينئذٍ تمتِم كأَنك تتلو عزيمةً سحِريَّةً ، ثم تنفُخ فى هذا المزمار نفخاً خفيفاً طويلاً ،

وإذ ذاك ستشفى الأميرةُ ، وتأخذ أنتَ المُكافأةَ الضَّخْمَةَ ، ويكون لك الحُظْوةُ الحُسْنَى عندَ الملِكِ وحاشيتِه .

قال الراعى : شكْرًا لك ، ونظرَ فرأى الشيطانَ قد تحوّل إلى دخانٍ كثيفٍ يمتَدُّ فى الجوّ الأَعلى ثم غَابَ عن بصرِهِ .

* * *

مشى الراعى فى طريقه إلى المدينةِ حتى دخلَها بعد يومَيْنِ ، فوجد أَهلهَا قد شغلَهم الحديثُ عن الأَميرةِ وما أَصابَها من مرضٍ أَعْيَا الأَطباءَ ، وبعد مُضِيِّ يومٍ من قدومِه ، سمع منادِيَ الملِكِ يعْلِنُ فى المدينةِ مرسوماً ملكيًّا قالَ فيه :

لقد حَلَّ المرضُ فى جسدِ الأَميرةِ ابنتِى العزيزة ، وأَصيبَتْ من جراءِ ذلك بتعبٍ خطيرٍ ، فمن استطاعَ

من أَفراد شعبي أَن يَطْرُدَ المرضَ من جَسَدِها ، ويردَّ إِليها صِحَّتَها وعافِيَتَها زَوَّجْتُه إِيَّاهَا ، ومنحتُهُ نصفَ ملكي .

وتوافَدَ على قصْرِ المَلِكِ كثيرٌ من الأَطباءِ والكُهَّانِ والسحرةِ فما اسْتَطَاعوا أَن يَطْرُدُوا المرَضَ من جَسَدِها ، وتقدَّمَ الراعى فى ثيابِه إلى المَلِكِ ، وعرضَ عَلَيْه أَنه يستطيعُ أَن يَشْفِيَها ويطرد المرَضَ من جَسَدِها ، فأَمَرَ أَن يأْخذُوه إلى غرفتِها حيث لَزِمَتْ فِرَاشَها ، وهناك جَعَلَ يُتَمْتِمُ كأَنَّه يتلو عَزَائمَ سحْرِية ، ثم نفخ فى المزمار نَفخةً طويلَةً خفيفَةً فإِذا بالغرفةِ تمتلئُ دخاناً أَبيضَ يتخلَّلهُ بريقٌ كأَنَّه البرقُ اللَّامِعُ ، ثم سَمِعَ مَنْ فى القصرِ صوتاً مُدَوِّياً كأَنه الصَّيْحَةُ ، ثم نظروا فلم يجِدوا دُخَاناً ولا بريقاً ،ووجدُوا الأَميرةَ قد



وتقدم الراعى فى ثيابه إلى الملك . . .

غادرت فِرَاشها في صحة وعافيةٍ ، وكان الشيطانُ قد هَمَسَ في أُذنِ الراعي قبلَ أَنْ يذهَبَ قائلا : لا تطمَعْ في معونتي لَكَ مرةً أُخرى . وإياك أَن تنفخ في المزمارِ بعْدَ ذلك .

ذاع النبأُ في المدينةِ ، وتسابَقَ أَهلُها يُهَنِّئُون الملك ، ويظهِرُون له الوَلاَءَ والطاعة ، ثم وفى الملكُ بوعدِه ، فزوَّجَ الراعي ابنتَه ، ومنحه نصفَ مُلكه .

* * *

بعد مدة مَرضَتْ شَقِيقَةُ الأَميرةِ زوجةِ الراعي ، وظهرتْ عَلَيها الأَعراضُ الَّتِي كانَتْ قد ظهرتْ في أُختِها ، فأَرسَلَ الملكُ إِلى زوج ابنته ؛ لِيُنْقِذَ ابنته كما أَنقذ أُخْتها التي تزوَّجها .

تحيَّر الراعي ، أَيأْبَى ويمتنِع لِأَنَّ الشيطانَ أَنذره

أَلاَّ يُعينَه أَو يطيعَه مرةً أُخرى ، وذلك أَمرٌ غيرُ لائِق ، ولا ينبغى أَن يكونَ بينَ الأَقارب ولا بينَ الأَجانبِ ، فالناسُ للناسِ خَدمٌ وإِنْ لمْ يَشْعُرُوا ، واللهُ فى عونِ المرءِ ما دامَ المرءُ فى عون أَخيه .

أَمْ يُلَبِّى دعوةَ المِلِك ، وهو يعلَمُ أَنَّه فاشِلٌ ، وأَنَّه سيضيِّعُ بفشلِه منزلتَه وقدرَه ، وذلك أَمرٌ عزيزٌ على نفسِه ، وهو إِن فعَل ذلك كان كمن يطعَنُ نفسَه بيدِه وخِنْجَرِه ؟ .

ظَلَّ يفكِّرُ يوماً كامِلاً ، ثم غَلَبَ عَلَيْه أَن يتوكَّلَ على رَبِّه ويعتمِدَ عَليه ، ما دامَتْ وجهتُه إِلى الخيرِ .

رَحَل الراعِى إِلى نصفِ المملكة الآخَرِ ، ودَخَل على المَلِكِ صِهْرِه فحيَّاهُ وأَكرمَه ، ثمَ تركَه إِلى ابنتِه فى غُرْفَتِها .

أَخذ الراعِي يتمتمُ كأَنَّه يتلو عزائم سحرية ، وقلبُه مُتَّجِهٌ إلى اللهِ أَن يُعينَه، ولا يخيِّبَ سعيَه ، وأَراد أَن ينفخ فى المزمارِ، وبعد مدة همس الشيطانُ فى أُذنه قائلا : لَقَدْ أَنْذَرْتُكَ أَلا أُطيعَك مرةً أُخرى ، وحذَّرتك أَن تنفخ فى المزمارِ بعد المرةِ الأُولى ، فكيف نسيت إنذارِى ، وأَردت أَن تنفخَ فى المزمار ؟ ذُق الآنَ ثمرةَ خَيْبَتِك وفَشَلِكَ .

لم يترك الراعى الاستعانةَ بَرَبِّه ، فَأَلْهَمَه أَنْ يَقُولَ مِنْ فَوْرِه :

ما نسيتُ إنذارَك ، وما سَعَيْتُ من أَجلِ الأَميرةِ وشفائِها ، فَهِى لا تهمُّنِى بقدرِ ما تهمنى أَنتَ ، وما جاءَ بى إلى الأَميرةِ إلا حِرْصِى عَلَى راحتِك ، ودفع الشَّر عنْكَ ، اعترافاً منى بفَضْلِك ، فقد عَلِمْتُ أَن

العجوزَ اللَّعينَةَ تبحثُ عَنْكَ فى كلِّ مكَان ، وقد بَلَغَها أَنَّكَ حَللتَ فى جسدِ الأَميرة ، فسبقتُها إليكَ ، حتى تفرَّ مِنْ وَجْهِها قبل أَن تتعَلَّقَ بعُنُقِكَ ، وذلك كلُّ ما عندى ، وأَنت أَميرُ نفسك ، فإِمَّا بَقِيتَ ، وإما فَرَرْتَ ، وما عَلَيَّ إلا إنّى أَخلصتُ لَكَ ووفَّيْتُ ، وأَعلمتُكَ ما لم تكن تَعْلَم . ثم نفخَ فى المزمار نفخةً طويلَةً خفيفةً . لم يكد الشيطانُ يسمَعُ صوتَ المزمارِ حتى صرَخ صرْخةً مدويّةً زُلْزِلَتْ لها أَرجاءُ القَصْرِ ، ثم انتشر الدُّخَانُ الأَبيضُ ، يتخلَّلُه بريق ضوءٍ محمر وبعد بُرْهة من الزمنِ اختفى كلُّ شىءٍ ، وغادرت الأَميرةُ مَخْدَعَها سليمةً قويةً ، ولم يحلَّ الشيطان فى جسمِ امرأَة بعدهَا أَبدًا .

فرغ الوالد من حكاية « العجوز والشيطان » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية ، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » . . . طاب مساؤكم ، وتصبحون على خير . . .

وكانت الليلة التالية فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالى . . .

وكانت حكاية الليلة... «حكاية النجار والعفريت» :

النجّار والعفريت

كانَ فى الأَزْمانِ الماضِيةِ ، رجُلٌ نَجّارٌ فَقِير ، ولَهُ زَوجَةٌ أَجْملَ اللهُ خَلْقَها وخُلُقَها ، يَعيشان فى بَيتٍ صَغِيرٍ وَرِثَهُ عَنْ أَبِيه ، ويدلُّ شكلهُ عَنْ فَقْرِ صَاحِبه ، وضِيقِ رِزْقِه ، وكانَ يَصنَعُ مِن الخشَبِ الأَخونةَ والملاَعِق والمغَارف ويَبيعُها ، ويَنالُ مِنْ ذلِكَ رِبْحاً لا يكادُ يَفِي بحاجة بَيْتِه، وكانَ ضيقُ الرِّزقِ يَعتريه كثيراً ، فإذا خَرجَ فى الصّباحِ يَوماً مِن بَيْتِهِ ليَبيعَ

ما صَنَع رجَع إلى بيتهِ فى المساءِ ومعهُ بضاعَتُه التى صَنَعها ، ولمْ يبعْ مِنها شيئاً ، فيدْخُل بَيتَه واجِماً حَزِيناً كأَنّه فقَدَ أَعَزّ أَبْنَائِه ، وأَحبَّهُم إلَى نَفسِه ، فتسأَلُهُ زَوجتُه عمّا حَزنَه وزَعّلَه فيقُول :

وكيفَ لا أَحزَن وقَد قَضَيتُ يَومى فى سُوق المدينَة ، من غير فائِدة ، أَجلس أَمام بضاعتى حيناً ، وأَقفُ حيناً آخر تَحتَ الشّمس المحرِقةِ ، وفى زحْمة التجار والزَّبائِن الذِينَ يَفدُون إلى السُّوقِ لشِراءِ مَا يحتاجُونَ إليْهِ من حُبُوبٍ ولُحوم وبُقولٍ وخُضَر وأَوَانٍ وأَقْمِشةٍ وأَحذِية ، وغَير ذَلكَ من لوازِمِ المعِيشَة ؛ لعَلىِّ أَبيعُ شَيئاً مِمّا تَعِبتُ فى صُنْعِه ، لنَعِيشَ علَى رِبْحِه ، فَما بِعتُ شَيئاً ، وما نَالَنِى إلا وَجَعُ الرّأْسِ ، وتَعَبُ القَلْبِ ، مِنْ كثرةِ الكَلامِ ، ورَفْع الأَدَواتِ ووَضْعِها ، وإعْطَائِها



ولكنى رجعت بيدين فارغتين كيد الشحاذ . . .

للزّبائِن وأَخْذِها ، وبخسٍ فى أَثمانِها ، حَتّى انْقَضَى النّهارُ ، وانْفضَّتِ السُّوقُ ، وكانَ بِوُدِّى أَنْ أَعُودَ إِلَيكِ حامِلاً ما تَشْتَهِيه نَفسُكِ مِنْ مَئونَةٍ وفاكِهَة ، ولكنِّى رجَعتُ بيدين فارغتَيْن كيدى الشَّحاذ ؟ !
فَتعْلُو شَفَتَىْ زَوجتهِ ابْتِسامةٌ مُشْرِقَةٌ ، وتَقول :

إِنّكَ لم تُقصِّرْ فِى السّعْىِ إِلى رِزْقِكَ وطَلبِه ، ولكنّ اللهَ أَرادَ لكَ ذلِكَ ورَضِيَه ، أَفَلا نَرضَى بِما رَضِى به رَبُّك ؟ ! لاَ تَحزَن عَلَى ما فاتَك ، فإِنّه ليسَ لَكَ ، ولو كَانَ من نَصِيبِك لجاءَكَ من حَيْثُ لاتَحتسِب ، والعاقلُ مَنْ حَمِد ربّه فِى الضِّيق كَمَا يحمَدُهُ فِى السَّعَة . ولاَ تَزالُ تَضَعُ عَنْه أَثْقَالَه وأَحْزانَه بِعذْبِ حَدِيثِهَا حَتَّى يَسْتَرِيحَ ويَغْتَبِط ، ويَنامَ لَيْلَته راضِيًا غَيرَ سَاخِط .

• • •

ظل الرجل وزوجتُه على هذهِ الحالِ بِضْع سنِين ، لَا هو يَجدُ سَعةً فى رِزْقِه ، ولا زوجَتُه تَنْحرِفُ عَن موقِفِها من ترْضيتهِ وإِسْعادِه .

وذَاتَ يَومٍ ذهَبَ النجّارُ إِلَى السُّوقِ وبَاعَ بَعضاً من أَدَواتِه ، ووَجَد فى السُّوقِ سَمكاً طَرِيًّا ، وكانَ هُو وَزوجَتُه فى شَوقٍ عَظِيمٍ إِلَى أَن يأْكُلاَ مِنْه ، فاشْتَرى سَمكَةً كبِيرَة ومَضَى بِها إلى بَيْتِه ، فلَمّا رأَتْها زوجَتُه أَعْجبتْها وفَرحتْ بِها ، ودَعَتْ لزَوجِها براحَةِ القَلبِ وسَعةِ الرِّزْق ، ثُمّ نَهضَتْ لِتُعِدَّ مِنْها غَداءً شَهِيًّا .

شَقَّت الزوجَةُ بَطْن السمكةِ فوَجدَتْ فِيه صُنْدوقاً نُحاسِيًّا صَغِيرًا كالعُلبَة ، قَدْ أُحكِم إغْلاقُه ، وعَلَى غطائِه نُقوشٌ كأَنَّها طَلاسِم .

أَخَذت الزوجة الصُّندوقَ ، وأَسرعَت به إلى زَوجِها حَيث يَقومُ بِعَملِه ، ويَصنَعُ أَدَواتِه ، وأَخبرَتْه أَنّها وجَدَتْ هذَا الصُّندوقَ فى بطنِ السّمكَة ، فأَخَذه مِنها وقلّبَه بَينَ يَديْه ، ثم قالَ .

يَبدُو لِى أَنَّه من كُنوزِ البِحار ، وفِيه شَىْءٌ لَهُ قِيمتُه فلنَفْتحْه فعسى أَنْ نَجِدَ فِيه لُؤْلؤًا وجَواهِر .

قالت الزوجة : قد يكُون الأَمرُ كما قُلت ، وأَرسَلَهُ اللهُ إليكَ جَزاءً بما رَضِيتَ وصَبرْت ، فلْنحمَد اللهَ علَى جَزِيل نِعمتِه ، ولنشكُرْهُ علَى هَديَّتهِ ومِنْحتِه ، فإنّ الشّكْرَ وَفاءٌ للْمشكُورِ بحقِّه ، ومُضاعفَةٌ للشّاكرِ فى أَجْرِهِ ونِعْمتهِ .

حاولَ النّجارُ فَتْح الصُّندوق بيدَيْه فلَمْ يَسْتطِع ، فأَمْسَكَ قَدومه ومِنْقارَه ، ورَفَع بِهما غِطاءَه أَمامَ زوجتِه



اشترى سمكة كبيرة ومضى بها إلى بيته فلما رأتها زوجته أعجبتها ، وفرحت بها ، ودعت لزوجها براحة القلب . . .

الَّتِي ابثَتْ واقِفَةً حَتَّى يُفْتحَ الصُّندوقُ وتَرَى ما فِيه .

* * *

رفَعَ النجارُ الغطاءَ عَن الصندُوق فبانَ له ولزوْجتِه فارِغاً لَيسَ به شَئ ، واندهشا حينَ رأَيَا دخَاناً يخْرجُ مِنْه ويَصْعد إلَى الجَوّ علَى هيئةِ عَمود ، وفَزِعَا حِين وجَدَا هذا العَمودَ قد انقلبَ فى الحالِ إلى شبحٍ مُخيفٍ مُزعج على شكل إنسانٍ طَوِيل ، له عينان تَتَوهَّجان كأَنَّهما قِطْعتان مِن لهَبٍ ، وفَمٌ واسِعٌ ذوشَفَتَين غليظتينِ ، تنكشِفان عَنْ أَسنان طويلةٍ حادة، ويَدان طَويلتان مُنتَهِيَتان بأَصابعَ كأَصابع المِذْراة ، ورِجْلان طويلتان كأَنّهما سارِيَتان، واشتدّ فَزعُهما حِين سَمِعاه يَقُول :

أَنا عِفْريتٌ من الجنّ ، أَنا العفْريت « قَنطَش » حبَسنِى نَبِىُّ اللهِ سُليمانُ (عليه السلامُ) فى هذا الصّندوق



أنا عفريت من الجن . . . أنا العفريت « قنطش »

حِينَ لم أَسْمع نَصِيحتَه ، ولم أَستجِبْ لدَعْوتِه ، وألقانى فى هذا البحر ، ولبثتُ فيه آلافاً من السنِين ، وكنتُ كلَّ سَنةٍ أَقولُ :

مَنْ أَطلقَنِى من سِجْنِى هذا أَغْنَيتُهُ ، وكنتُ له خَادِماً مُطِيعاً ، ومكثتُ أَنتظِرُ إِنْساناً ذا حَظٍّ عظِيم فى دُنياهُ يُخرجُنى من هذا السِّجنِ الضَّيقِ المظلِم ، فمَا جاءَنِى أَحَد ، ولمّا يئِسْتُ غَضِبْتُ وقُلت :

مَن أَطْلقنِى من سِجْنِى هذا قتلْته قِتلةً يختارُها لنَفْسِه ، فَإِن أَبَى أَنْ يختارَ شيئاً قَتلتُه شَرّ قِتْلة ، وها أَنْتَ ذا قد أَعْتقتَنِى مِن سِجْنِى فاخْتَرْ لنَفِسكَ قِتْلةً تَرْضاها .

لم ينطق النجارُ بكلمةٍ من شِدَّةِ فَزعِهِ ، ولكنّ زوجَته تجلّدتْ وقالتْ فى صَوْت مُتَهدِّجٍ يُزلزِلهُ الرعْبُ والغَمّ :

أَليس إِخْراجُك من سجنِك مَعْروفاً وإِحساناً ؟

قال : بَلىَ . هو معروف وإِحسان .

قالت : أَليسَ مَنْ أَخرجكَ من سِجنِك قَد وهَبَ لكَ الحيَاة ؟

قال : بلىَ ، قد وهب لى الحياة .

قالت : وهَل يَصحُّ فى رأَيكَ وشرفِك أَنْ تقابل المعْروفَ والإِحْسان بالجحُود والإِساءَة ، وأَنْ تجزِى من وهَبَ لكَ حياتَك بقَتْلِه وسَلْبه حياته ؟

قال : ولكنّ وعْدًا وعَدْته ، ولا بُدَّ من أَنْ أَفِىَ بِه ، ولو أَخْرجَنى زوجُك قَبل هذا العَام لكانَ مِنْ أَسْعدِ النّاسِ ، ولكِنْ هذَا حَظُّه الَّذِى كُتِبَ لَه ، فَلاَ تَلومينِى ولوُمِى حَظَّه الأَسود .

قالت : إِنَّ حَظَّه بيْن يَدَيك ، وفِى وُسْعِكَ أَن

تُبَيِّضَ وَجْهه .

قال : لاَ تُكثِرى من اللّجاجِ ، فهذَا وعْدٌ وعَدْتُه ، ولا بُدّ أَنْ أَفِىَ بِه .

قالت : إذا اخْتصم اثنان وتَنازعَا فى أَمْر خَطِير بَيْنَهما فإنّ هناكَ مَجْلساً من العُقلاءِ يَفْصل بَيْنَهما ، ورُبَّما وجدتُما فى حُكْمِهِ ما يُرضِيكَ ويُرضِيهِ .

قال : لا يُرضِينى إلاّ مَجلسٌ مِن جِنْسِى .

قالت : ولكِنَّ العَدلَ يَقْضِى أَن يكونَ المجلسُ مُؤَلفاً مِن جِنْسِكَ وجنسِه .

قال : أَنتُنَّ أَيتها النّساءُ كثيراتُ الكَلام ، وإنّى آخِذُه إلى غابةِ العفَاريت حَيْث نحتَكِمُ إلى مَجلسٍ هُناك ، ثم حَملَه العِفْريت ، وطارَ بِه إلى غَابةِ العَفاريت ، وتركَ الزوجة حَزِينةً باكِية .

دَخل العِفْريتُ الغابة ، فجاءه إخْوانُه يُهنِّئُونهُ بخَلاصِه من سجنِه ، ويسأَلونَه عَن هذا الإنسان الذِي مَعَه ، فقَصَّ عَلَيْهم قِصتَه ، وَطلبَ مِنْهم أَنْ يحكمُوا بَينه وبينهُ .

كان مَجلسُ العفاريت جامعاً بين الأَشْرارِ والأَخيار أَمّا أَشرار العَفاريتِ فقَدْ قالوا :

لا بُدَّ أَن يَفِيَ العفريتُ بوعْدِه :

وأَمّا خِيَارُهم فقد قَالوا :

لا وَفاءَ لِوَعْدٍ يَحمُل خطِيئة ، وقَتلُ النفسِ بغَير حَقٍّ أَكبَرُ خَطِيئة ، واشْتَدّ الخِلافُ بينَ الفريقَين واحْتَدم النّزاع واضْطَرَم ، وكانَ لكُلِّ فَريقٍ أَنصارٌ وأَتباع ، وكادَت تَقومُ حَربٌ بَيْن الفَريقَيْن ، ولكنّ

عِفريتاً عاقِلاً لَه شخصيتُه واحْترامه فيهم وقَف بينهم وقالَ :

ما دَامَ حَظُّ النجارِ هُو الذِى أَوقَعهُ فى وَرْطتِه ، وما دَام العِفريتُ لا سَندَ له فيما عَزَم علَيهِ إلا حَظُّ النّجار الذِى ساقَه إلى مُصِيبتِه ، فلنَترْك النّجارَ وحَظَّه ، وذلكَ بأَنْ يُلقِيه العِفْريت فى فَلاةٍ جَرداءَ ، لازادَ فيها ولا مَاء ، وهناكَ يلقى حَظَّه يُميتُه أَو يُحْيِيه .

• • •

اسْتَراحَ الفَرِيقانِ إلى هذا الرَّأْى ورَضيا بِه ، فحملَه العفريتُ وطارَ به إلى فَلاةٍ جَرداء وَاسِعةٍ ، لا يَبلغُ البصَرُ مَداهَا ، وأَلقَى النَّجارَ فِيها وقال :

سأَترُكُكَ وَحظَّك ، فإمّا سَعِدتَ به وإمّا شَقِيتَ ،

وإمّا تحوّلَ إلَى غُولٍ فأَكَلَكَ ، ثم ضَربَ العفْريتَ الأَرضَ بِرِجْلِه فاخْتفَى ، ولمْ يَجِدْ له النجّارُ ريحاً ولا أَثَرًا .

نظَر النجّارُ حَوالَيْه فلَمْ يَرَ إلا أَرْضاً جَرْداءَ رمْليّة ، ليسَ لها نِهاية إلا ذلِكَ الأُفقُ الذى يَحمِلُ قُبّةَ السّماءِ ، وفِيها الشمسُ ساطِعَة تلْسَعُه بحرارَتِها ، فَظنّ أَنّها تَعتِبُ عَليْه وتَلومه قائِلة :

هذَا جَزاءُ مَنْ أَكْرمَ اللّئِيم وأَحْسَنَ إليْه ، وتَهبُّ الرّياحُ شَدِيدةً عاصِفَةً ، فتَقْذِف وجههُ وعيْنيْه برِمالِ الصّحراءِ ، فيُغطّى وجَهَهُ بِيدَيْهِ ، ويَعودُ إليْه خاطِرُهُ ويقول :

هذَا جَزاءُ من أَكرمَ اللئِيمَ وأَحْسنَ إليْهِ ، وتَزِيدُ

الرياحُ شِدَّتَها وتُدَوِّى فى هذه الأَرْضِ القَفْراءِ ، وتَسُوقُ السُّحبَ حتَّى تَملأَ بِها صَفْحةَ السّماءِ ، وتَهطِلُ الأَمطار التى تبتَلعُها الرّمال ، ويَبْحَثُ عَنْ مَأْوًى يَقِيه تِلْكَ الأَمطارَ الهاطلةَ فلا يجِدُه ، فيقِفُ تحْتَها كالتَّائِه ، ويعُودُ إليه خاطِرُهُ ويَقول :

هذا جَزاءُ مَن أَكْرم اللئيم وأَحسن إليه . وتَسْكُت الأَمطارُ ، وتَنْقشِعُ السّحبُ ، وتَصْفُو السماءُ ، وتَبدُو الشمسُ ساطِعةً ، وتُمدُّ النجارَ بالدِّفءِ والحيَاة ، فينْتَبِهُ خاطِرُهُ وينْتَعِشُ ويَقول :

لنْ يَضِيعَ المعْروفُ بَيْن اللهِ والناسِ ، فيَشْعُر النجّارُ بالهُدُوءِ والراحةِ ويَقُول :

اللهُ رَبِّى ، وهُو العَليمُ بِحالِى .

وَمَا فرغَ النجارُ مِن قَولِه هَذا حتّى وَجدَ أَمامَه العِفْريتَ الذى أَشار علَى المجلِس أَنْ يُلقَى فى فِلَاةٍ جَرداءَ ، ويُترك فِيها لحظِّهِ ، فَعَرَفَه النَّجارُ لأَولِ نَظرة وقالَ له :

أَنتَ الذى أَشرتَ بنَفْيى إِلى تلكَ الفَلاةِ التِى لا أَجدُ فِيها إلاّ الموتَ قَدْ وقَفَ لِى بالمرصَاد ، وليسَ لِى فى هَذِه الفَلاةِ طَعامٌ غَيره .

ابتسمَ العفريتُ وقال :

ما أَشرتُ عليهم بهذا الرأَى إلاّ لأَتبعَكَ فأُنجّيكَ من وَرْطَتِك ، فقَدْ قدمْتَ المعْرُوف لنَفسِك ، ولنْ يضيعَ المعروفُ بينَ الله والناس .

قال النجار : شكرًا لك ، وماذا أَنت فاعِل ؟

قال العفريت : سأَحملُك إِلَى بَيتكَ ، حَيثُ تلتَقِى بزوجَتِك الصالحةِ الوَفيَّة ، التِى لا يُفَارقُها البُكاءُ عليْكَ ليْلاً ونهارًا . وسأَحضُرُ إِليْكَ كلمَا احْتَجتَ نوعاً رَاقِياً من الخَشب ؛ لتصْنَع منه ما شئت من أَخونَة ومَلاعِقَ ومَغَارفَ وغيرِها ، ثم تَبيعَ ما صنَعْتَهُ ، وسَيجِدُ فِى الأَسْواقِ روَاجاً كبِيرًا ، وسَتَغْنَم مِنْه مالاً كثيرًا .

قال النجارُ :

جَزاكَ اللّهُ خَيرًا ، وأَعانَنى علىَ ردِّ مَعروفِكَ هذا أَضْعافاً مُضَاعَفَة .

قال العِفريت :

إِنّما فَعلتُ هذا لوجْه الله ، لا أُرِيدُ مِنْكَ جَزاءً

ولاَ شُكُورًا ، إنِّى أَخافُ يَوْماً عَبُوساً يَجعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً .

حَملَ العفريتُ النجارَ وطارَ بهِ حتى هَبط بهِ أَمام بَيتِه ، وكانَ ذَلِكَ بعد الفَجْر وقَبلَ طلوع الشَّمْس، ثم سلّمَ عليْه، وأَكَّدَ له وعْدَه بإِحْضار الخشَبِ واختفى .

طرَقَ النجّارُ بابَ بيتِه طرقاً خفِيفاً ، فقالت زوجته :

مَنْ بالباب ؟

قال : أَنَا زَوجُكِ فَلان ، فعَرفَتهُ من صَوتِه، وأَرسَلتْ فى هذا السُّكون الشّاملِ زغرُودةً طويلةً عالِيَة ، ونهضت مُسْرِعةً إلى الباب وفتحتْه ، وتلقَّتْ زوجَهَا فَرِحةً مَسْرورَة ، وجَعلت تُردّد : حَمدًا لله ، هنيئا لى ولكَ بِعَوْدَتِك سالِماً .

* * *

كان الجيرَان قَد اسْتيقظُواعلى زغْردَةِ زوجَة النّجار ، وهيَ التى يعْهدُونَها حَزِينةً باكيَة ، فظنُّوا زوْجَهَا قد حَضَر ، وجاءُوها زُرَافاتٍ ووحْداناً يهنئُون النجارَ وزوجَتَه ، وكانوا جميعُهم فى شوقٍ عظيم ولهفَةٍ إلى مَعْرِفةِ ما وَقع لهُ بَعد أَنْ خطِفه العِفريت ، وطار بهِإلَى غابةِ العَفاريتِ ، فقصّ عليهم قصّته ، ولكنّه أَبْقَى مسأَلة إحضار الخشب علَى يد العفريت الطيب سِراًّ بينَه وبَيْنَ زوجَتهِ .

* * *

والَى العفريت إحْضارَ الخَشبِ للنجار ، ووَالَى النجار العمل فى صنعتِه ، حتى كان لهُ مَصْنعٌ كبِير ، يشتغِلُ فيه كثير من الصُّنّاع الماهِرين ، وأَصْبَح

من كبار الأَغنياءِ ، وعاش هو وزوجَتُهُ عيشة سَعِيدَة ، وذلك جزَاء صبرهما ورضاهُما بِما قسَم الله لهما مع السَّعْى والعَمل ، وعَدم القُعودِ والكَسَل .

وإنَّما يُوَفَّ الصابِرُونَ أَجْرَهم بغَيْرِ حسَاب .

فرغ الوالد من حكاية « النجار والعفريت » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من «حكايات الليالى» . . . طاب مساؤكم ، وتصبحون على خير . . .

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٨٣٢٧
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4698-0

٧/٩٤/١٩٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

حكايات الليالى

هذه مجموعة من الحكايات الممتعة.. التى تعيد إلى الناشئة أجمل مافى الليل من تقاليد الأسرة العربية.. حينما يجلس الأب إلى أبنائه ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة.. فيجيبهم ويحكى لهم واحدة من الحكايات.. تحمل الحكمة.. والطرافة.. والخيال.. بأسلوب سهل ميسر.

صدر منها :

١ - القيثارة الساحرة
٢ - بنت الصياد وابن الملك
٣ - الأخوة الثلاثة
٤ - فطانة القاضى
٥ - الفقير الطامح
٦ - القرد العجوز
٧ - الطائر المغرد
٨ - الأمير المغامر

٢٠٨٧٥٦